مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أجرى بلطفه ورحمته السحاب، فسقي العباد وزَّوي الأودية والهضاب، وأنبت به الحدائق والأعناب، سبحانه يبتلي ليُدعى فإذا دُعي أجاب، عصاه آدم بالذنب فتاب عليه وقبل منه المتاب، ورفع إدريس بلطفه إلى أكرم جناب، وأرسل الطوفان وكان شأن السفينة من العُجاب، ونجَّى الخليل من نار شديدة الالتهاب، وكانت سلامة يوسف عبرة أولي الألباب، نزل البلاء بأيوب ففارقه الأهل والأصحاب، عضه البلاء إلى أن كَلَّ منه الظفر والناب، فنادي ربه مستغيثا به فجاء الجواب ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (ص: ٤٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالت عظمتُه، وجلت حكمتُه، وفاضت على عباده رحمته، وخضعت لأمره خليقته، جعل العزة والشرف في الذل إليه، والكفاية واليقين في التوكل عليه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وأسوة للعابدين، وهداية للحائرين، فأتم الله به النعمة وأكمل به الدين، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،

فاعلم أيها الحبيب بأن الله جلَّ وعلا أرحم بك من نفسك وأرأف بك من أمك، ثم إن دوام الحال من المحال، والأيام دُول، والغيب مستور، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا، وفي نهاية كل ليل غاسق فجر صادق وبعد الشدة فرج، وبعد الألم راحة وسكون، ومع البلية عطية، ومع المحن منح، فارض بالله ربًا يرضَ بك عبدًا.

من عظَّم وقار الله في نفسه أن يعصيه وقَّره الله في قلوب الخلق أن يذلوه، فلا تبتئس بواقع أليم، فربك بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولا تضجر بغربة الدين، واستأنس بالثقة واليقين، ولا تسخط ببلاء أو مرض فقد يكون فيه رفعة شأنك، ورحمة ربك، ومغفرة ذنبك، وبلوغك إلى درجات الجنة العُلى.

ولكن أخرج قلبك من زحمة المنكرات، ودخن الذنوب والسيئات، وطيبه بالآيات والعظات، وتألَّق في رياض المتهجدين وتأنَّق بصبغة العبودية لرب العالمين، هيا انطلق إلى فضاء الطاعة فسوف تجد هواء نظيفًا، وهدوءًا لقلبك، وسكينة لروحك، سوف تجد نورًا مبينًا، ومقامًا كريمًا، هيا حرك مطايا سيرك إلى الله، وأزعج قلبك من غفلته وأذقه حلاوة الإيمان ولذة القرب من الرحمن، وتقرب إلى الله شبرًا يتقرب الله إليك ذراعًا وتقرب إليه ذراعًا يتقرب إليك باعًا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس العجب من مملوك يتذلل لله يتعبد له، ولا يمل من خدمته مع حاجته إليه وفقره إليه، إنما العجب من مالك يتحبَّب إلى مملوك بصنوف إنعامه، ويتوَّددُ إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.

كفى بك عزًا أنك له عبد ... وكفى بك فخرًا أنه لك رب[1]

ألا فاعبد الله متقربًا إليه متحببًا إليه؛ ليسبغ عليك فضله، ويسبل عليك بِرَّه، ويُسْدِل عليك نعيم الأمن والأمان، واشكر نعمه يزدك منها، شكر النعم يدفع النقم، وترك الذنوب حياة القلوب، فالداء هو الذنوب والدواء تركها وهجرها والتوبة إلى الله منها، ومن عرف دواء دائه ولم يتداو به فلا يلومنَّ إلا نفسه.

---

(١) «كتاب الفوائد» (ص:٥٣).

عباد الله... ربنا رؤوف رحيم، غفور شكور، لا يهمل أولياءه ولا يغفل عن أعدائه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٢).

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٠)

وهذه وثيقة حب نسجل بها حبنا لربنا برضانا بقضائه وقدره فهو أرحم بنا من أنفسنا، نتذاكر من خلال هذه السطور لطف ربنا بنا، ورحمته لنا، وإكرامه لنا، وحفظه، لأوليائه، وقربه ممن دعاه، ونصره لمن تولاه، وكفايته لمن توكل عليه، ورجاه، وأنه تعالى يريد بنا اليسر ويدلنا على أسباب سعادتنا في الدنيا والآخرة، نطالع ذلك في مشاهد حية وقصص واقعية، وعجائب مدهشة تنطق بعظيم لطف الله وتغرس في النفوس الثقة واليقين والصبر والثبات وانتظار الفرج، وأنه لا يأس ولا قنوط فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فهيا إخوتي نداوي الجروح والقروح، ونسقي ظمأ القلب والروح، ونستل من القلوب المنكوبة حزنها وقلقها ويأسها وعجزها، ونطلعها على صبح الفرج، وفجر الأمل ونور اليقين، وإشراقة الحياة، وحلاوة العاقبة وعظمة الثواب، فتعالوا نتأمل هذه المعاني ونعيش معها بأرواحنا وقلوبنا لعلها تحدو النفوس إلى جنة الملك القدوس، وتلهم العقول والأفئدة الفرار من نار الله الموقدة، والاستزادة من تحصيل الحسنات والأجور ليوم النشور، وليست الدنيا إلا دار بلاء، وفي الآخرة يكون الثواب والجزاء فاعقل شانك وقوم حياتك، واضبط سيرك على كتاب ربك وسنة نبيه، واصبر تصل، واثبت تفز وتسعد.

هذا وقد ذكرت في أول الكتاب مقدمة مهمة بعنوان ثوابت إيمانية ثم أردفت بشرح معنى اسم الله اللطيف ثم بدأت في المقصود وهو ذكر القصص والمواقف التي تدلل على عظيم لطف الله سبحانه وبدأتها بحياة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

هذا وأستغفر الله ربي من تقصيري وأعوذ به أن يكون حظي من ديني لفظي، أو أن أريد الدنيا بعملي، اللهم إليك وحدك أتوجه، وعليك وحدك أتوكل، فارزقني وإخواني الإخلاص في القول والعمل.

وأسألك ربي وسيدي ومولاي وإلهي ألا تحرمني وإخواني من النظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم، إنك أنت السميع العليم.

والحمد لله رب العالمين وصلي الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

سيد عطوة

غفر الله ولوالديه وللمسلمين أجمعين

٢٣ ربيع أول ١٤٢٧ هـ

١١ أبريـــل ٢٠٠٧م